الفصل الثالث

من إبراهيم إلى يوسف

سيدنا إبراهيم الخليل Abraham عليه السلام: ورد اسم سيِّدنا إبراهيم فى القرآن الكريم ٦٩ مرَّة، وروى القرآن الكريم جوانب من سيرته فى ١٧ سورة من سوره، ورسم له صورة رائعة تليق بأبى الأنبياء وخليل الرحمن عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

وأمَّا الشريعة الخطيَّة فقد صورت للخليل إبراهيم صورة لا تتناقض كثيرًا مع ما جاء فى القرآن الكريم، وإنْ أساءت إلى سيرته الطاهرة بادعائها الكاذب أنَّه كان يتاجر بعرضه فى مصر؛ فأهدى زوجه إلى فرعون الَّذى أحسن إليه، ووهبه مالا جزيلا "فَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَخُدَّامٌ وَخَادِمَاتٌ وَحَمَائِرُ وَجِمَالٌ"، وكانت السيَّدة هاجر أمُّ إسماعيل عليه السلام واحدة من هدايا الفرعون إلى إبراهيم[2].

وفى الوقت نفسه تناول سيرته كثير من المؤرخين والكتَّاب، ومن المؤسف أنَّ أكثرهم اتَّخذ من أسفار اليهود مصدرًا موثَّقًا لسيرته مع أنَّهم مقتنعون تمامًا بتحريفها، وبطلان ما جاء فيها من أخبار، وقد جمع الدكتور رشدى البدراوى أكثر أقوال المفسرين والمؤرخين من أخبار، وقدَّم تفسيرات، واجتهادات، وبذل جهدا كبيرًا موفَّقًا؛ غير أنَّنى أراه وَثِقَ كثيرًا بما ترويه أسفار اليهود، وأتعب نفسه فى محاولة

---

(١) سورة النحل ١٦: ١٢٠ ـ ١٢٢.

(٢) تكوين ١٢: ١٠.

التوفيق بينها وبين القرآن الكريم وأقوال المؤرخين؛ فمن أمثلة ذلك ما ذكره عن نسب الخليل عليه السلام فقد أورد النسب كما ترويه الأسفار اليهودية[1]: إبرام بن تارَح (أو آزر) بن ناحور بن سَرُوج بن رَعَو بن فَالَج بن عابَر بن شَالَح ابن أرفكشد (أو أرفخشذ) بن سام بن نوح عليه السلام.

وروى الدكتور رشدى أقوال المفسرين فى حل مشكلة مجىء اسم أبى إبراهيم فى القرآن الكريم مخالفا لاسمه فى الأسفار اليهودية، هل هو تارح أو آزر ؟ وهل آزر لقب أو اسم، ومنهم من ذهب إلى أنَّه الترجمة العربية للَّفظة الأكدية تارح، ومنهم من ذهب إلى أنَّ آزر عمه الَّذى ربَّاه أو جدَّه... [2] وكل هذه الأقاويل فاسدة لا معنى لها، ولا دليل عليها؛ والصحيح أنَّ أبا إبراهيم هو آزر كما جاء فى القرآن الكريم المهيمن على ما فى كتب اليهود والنصارى، فما جاء فيها مخالفا للقرآن الكريم فاضربه بأوسخ حذاء، وارمه فى مقلب الزبالة، ولا يستحق غير هذا.

ومما يدعو إلى العجب أنَّ الدكتور رشدى يأخذ ما جاء فى ذلك النسب مأخذ الجد، واجتهد فى حساب البعد الزمنى ما بين مولد سيِّدنا إبراهيم عليه السلام وعام الطوفان فكانت ٣٩٠ سنة، بينما هى فى التاريخ الموثَّق تتراوح ما بين ٢٠٠٠ و ١٥٠٠ سنة، فما الحل ؟

لقد تطوَّع الدكتور ـ بارك الله فيه ـ فحلَّ المشكلة حلا سهلا بأنْ زاد ـ من كَرَمِه ـ فى السنوات الَّتى تسبق المولود بضع مئات من السنين، ليصل بمجموعها إلى نحو ١٤٠٠ سنة، وهو رقم قريب من الحد الأدنى لما جاء فى كتب التاريخ، فمثلا: إذا ذكرت الأسفار أنَّ سامًا وُلِدَ وعمر نوح خمسمائة عام، فاقترح الدكتور أنْ يكون مولده وعُمْر نوح ستمائة، وإذا كان أرفكشاد وُلِدَ وعمر سام مائة سنة فى الأسفار فإنَّ الدكتور اقترح أنْ يكون مولده وعمر سام أربعمائة سنة... [3].

---

(١) تكوين ١١: ١٠ ـ ٢٦.
(٢) قصص الأنبياء والتاريخ ٢ / ٢١٦.
(٣) قصص الأنبياء والتاريخ ٢ / ٢١٦ ـ ٢١٩.

ونسأل فضيلة الدكتور هل كانت هناك بلديَّات وسجلاَّت مواليد فى ذلك الزمن الغابر؟ وفى أىِّ البلاد؟ وبأىِّ لغة كانت تسجل تلك المواليد؟ وما نوع الورق أو الرَّق أو الخشب الَّذى كانت تسجل عليه؟

إنَّ الدليل الأكبر على كذب أحبار اليهود هو حرصهم على ذكر السنوات بكل دقَّة لكل مولود، وذكر السنوات الَّتى عاشها كل منهم، فمن أين لهم معرفة ذلك؟ وما الدليل عليه؟ ألا يذكر فضيلة الدكتور أنَّ أباه وجدَّه فى القرن العشرين بعد ميلاد المسيح ربَّما كانا لا يعرفان متى ولدا مثل كثير من المواطنين، وإذا سُئل أحدهم: متى ولدت؟

كانت إجابته بعد ثورة عرابى، أو سنة عاد سعد زغلول من المنفى... وكثير من المواطنين إلى الآن ساقطو القيد ونحن فى القرن الواحد والعشرين ـ فكيف يتصوَّر أنْ تحفظ ذاكرة الأفراد تلك التواريخ بكل هذه الدقّة والتفصيل فى أزمانٍ مضت من قبل الجاهليَّة الأولى ؟

والحقيقة الَّتى لا ريب فيها أنَّه لا سامَ هناك، ولا حام، ولا أرفكشاد، ولا بطيخشاد إنَّ هى إلاَّ أساطير الأولين، اكتتبها أحبار اليهود ليثبتوا بها لأنفسهم تاريخًا لا وجود له، وليصلوا أنسابهم زورًا بخليل الرحمن، ولا أصول لهم ولا أنساب، وصدق الله العظيم إذْ قال: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

يذكر أكثر المؤرخين أنَّ سيِّدنا إبراهيم عليه السلام ولد فى "كوثا" ـ قرب بابل ـ ويزعم كاتب الأسفار اليهوديَّة أنَّه ولد فى "أور الكلدانيين" ـ وهى حاليًّا تل المقير، على الضفة الجنوبية لنهر الفرات، وعلى بعد نحو ١٥٠ كيلومتر غربى البصرة ـ ودعا قومه الوثنيين إلى عبادة الإله الواحد "إيل" خالق السموات والأرض، ويرجعون

(١) سورة البقرة ٢: ١٤٠.

نسبه إلى القبائل الآرامية العربية التى هاجرت من الجزيرة العربية، واستقرَّت فى حاران، ولكن قومه كذَّبوه، وآذوه.

أشار القرآن الكريم إلى أنَّ إبراهيم الخليل ﷺ فارق قومه هربا بدينه، بعد إيذائه وتعذيبه ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وتكاد أحداث التاريخ الموثَّق أنْ تتفق على رحلة سيِّدنا إبراهيم ﷺ إلى فلسطين ومصر، وتشير الأسفار اليهودية إلى السبب الَّذى جعل إبراهيم الخليل ينْزل مصر " لِيُقِيمَ هُنَاكَ؛ لأنَّ الْمَجَاعَةَ قَدِ اشْتَدَّتْ فِى الأَرْضِ "[2]، وفى مصر أحسن فرعون وفادته، وأجزل له العطاء، ثمَّ " ١ غَادَرَ أَبْرَامُ مِصْرَ وَتَوَجَّهَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَلُوطٌ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، نَحْوَ مِنْطَقَةِ النَّقَبِ ٢ وَكَانَ أَبْرَامُ يَمْلِكُ ثَرْوَةً طَائِلَةً مِنَ الْمَوَاشِى وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. ٣ وَظَلَّ يَنْتَقِلُ فِى مِنْطَقَةِ النَّقَبِ مُتَّجِهاً إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِى كَانَ قَدْ نَصَبَ فِيهِ خِيَامَهُ أَوَّلاً بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَاى. ٤ حَيْثُ كَانَ قَدْ شَيَّدَ الْمَذْبَحَ أَوَّلاً، وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ."[3].

وفى سيرة خليل الرحمن الَّتى كتبها الدكتور رشدى البدراوى أمران أظنُّه ابتكرهما من تلقاء نفسه، ولا أعرف لهما مصدرًا، وهما:

الأمر الأوَّل: أنَّه أنزله فى رحلته من كوثا أو من أور عددا من المدن ذكر منها: لجش، وأوروك، وبابل، وأشتونا، وأشور، ونينوى، ووصل أخيرًا إلى حرَّان[4]، ولم يذكر لنا المصدر الَّذى استقى منه تلك المعلومات، فبينما سكت القرآن الكريم عن هذه التفاصيل غير المفيدة فى سياق القصَّة نجد أنَّ الأسفار اليهوديَّة تنص على أنَّ خطَّ السير فى تلك الرحلة كان مختلفًا عما ذكره الدكتور، فقد جاء فيها: "٣١ وَأَخَذَ تَارَحُ ابْنَهُ أَبْرَامَ وَحَفِيدَهُ لُوطاً بْنَ هَارَانَ، وَسَارَاى كَنَّتَهُ زَوْجَةَ ابْنِهِ أَبْرَامَ، وَارْتَحَلَ بِهِمْ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. ٣٢ لَكِنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى حَارَانَ

(١) سورة الأنبياء ٢١: ٧١.
(٢) تكوين ١٢: ١٠.
(٣) تكوين ١٣: ١ ـ ٤.
(٤) قصص الأنبياء والتاريخ ٢ / ٢٤٥.

وَاسْتَقَرُّوا فِيهَا. "[1]، وفى الخريطة الَّتى رسمها للرحلة نجد أنَّ مدينة أور تقع فى غربى نهر الفرات[2]، فيعبر سيِّدنا إبراهيم النهر ليذهب إلى لجش وأوروك وبابل والمدن الثلاث تقع بين النهرين، ثم يعبر دجلة إلى أشتونا الواقعة فى شرقه، ثم يعود فيعبر دجلة مغرّبًا متجها إلى أشور، ثم يعود فيعبره مشرِّقًا إلى نينوى، ثم يعود فيتجه إلى الغرب عابرًا دجلة أولاً ثمَّ الفرات ثانيا ليصل إلى حرَّان ـ فهل كان فى استطاعة إبراهيم الخليل أنْ يعبر النهرين ستَّ مرات ذهابًا وإيابًا ؟ وما الداعى إلى كلِّ تلك التعرُّجات إذا كان طريق القوافل ـ كما رسمه هو ـ من أور إلى حرَّان يسير محاذيًا لنهر الفرات من شرقه ومن غربه، فى خط يكاد أنْ يكون مستقيمًا؟ وما الَّذى أقحم "بابل" فى الطريق؟ يبدو لى أنَّ الدكتور رشدى أراد أنْ يربط بين مبادئ الدين كما وردت فى صحف إبراهيم وبين قوانين حمورابى الشهيرة دون سند من نص أو تاريخ.

والأدلَّة الَّتى ساقها الدكتور على التشابه بين مبادئ الدين وشريعة حمورابى أدلة مفتعلة، وغير مقنعة؛ لأنّ الآيات الَتى استشهد بها كلَّها وردت فى القرآن كريم فى مواضع لا علاقة لها بسيرة الخليل وشريعته، وفى الوقت نفسه لا عجب من تشابه بعض مبادئ دين الله وبين شريعة حمورابى؛ فالقيم الإنسانية، والأخلاق السامية تراث حضارى ينتقل بين الأجيال من جيل إلى جيل، من آدم إلى حمورابى.

والأمر الآخر: أنَّه جعل الملك الَّذى أمر بإحراق الخليل فى أور، والَّذى تسميه بعض المصادر بـ "النمرود" شخصا آخر غير الملك الَّذى حاجَّ الخليل فى ربِّه، وتطوَّع مشكورًا ليرشح لنا من يكون ذلك الملك، فذكر أسماء ثمانية من ملوك بابل، وحقَّق سنوات حكمهم، وبعد تعليل طويل رجَّح أنْ يكون ذلك الملك هو حمورابى صاحب القوانين نفسه[3].

والَّذى فى القرآن الكريم أنَّ المحاجَّة كانت فى قومه، لا فى بابل، قال تعالى:

---

(١) تكوين ١١: ٣١ ـ ٣٢.
(٢) قصص الأنبياء والتاريخ ٢ / ٢٤٢.
(٣) قصص الأنبياء والتاريخ ٢ / ٢٥٤ ـ ٢٥٦.

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[1]، ألا ترى كيف أنَّ الدكتور رشدى أصرَّ على مسير الخليل إلى بابل، وهناك حاجَّ حمورابى، والحقيقة أنَّ هذين الأمرين لا دليل عليهما من نص أو تاريخ فى حدود علمى، والله أعلم.

وإذا قارنَّا سيرة الخليل فى القرآن الكريم، وفى الأسفار اليهوديَّة نجد اتفاقًا بينهما فى أمور، ونجد انفراد كل منهما فى أمور، فمما انفرد به القرآن الكريم:

۞ إنكار إبراهيم عليه السلام على قومه عقيدتهم الوثنية، وعبادتهم غير الله، فحطَّم أصنامهم؛ فأمر الملك بإحراق الخليل عليه السلام، فنجَّاه الله من كيد الكافرين، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾[2].

۞ إعادة بناء بيت الله الحرام فى مكَّة المشرَّفة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3]، ومن المتواتر أنَّ بيت الله الحرام فى مكَّة هو أوَّل بيت وضع للناس على الأرض، وأنَّ الَّذى بناه وطاف حوله هو سيِّدنا آدم عليه السلام، وأحاديث الرسول ﷺ متسقة تمامًا مع ما جاء فى القرآن الكريم بشأن هذا البيت الشريف الَّذى كان مرتفعا من الأرض كالرابية، وبمرور الوقت وضع فيه الوثنيون أصنامهم، وتأتيه السيول تأخذ من يمينه ومن شماله؛ فدرست معالمه[4]، ولم يكن عمل الخليل عليه السلام وابنه إلاَّ إعادة البناء، ورفع قواعده، وتطهيره من الأوثان، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٨٠.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٦٦ ـ ٧٠.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٢٧.

(٤) الأوائل ٢٨٥، وراجع فى رحاب الأنبياء والرسل ٨٩.

لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1]، ولم يكن الخليل يعرف مكان البيت، بل هداه الله إلى موضعه، وأمره بأنْ ينادى فى الناس بالحج إليه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[2].

۞ ابتلاء الله الخليل وابنه إذْ رأى فى المنام أنَّه يذبح ابنه البكر الوحيد الَّذى جاءه على الكبر، فأحبَّه، وكبر فى رعايته، وكأنَّ الله ﷻ أراد أنْ يظل قلب خليله له وحده، ولا يتعلَّق به شىء من حب الدنيا أو حب الولد، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[3].

والذبيح هو سيدنا إسماعيل ﷺ، ويزعم اليهود أنَّ الذبيح هو سيدنا إسحاق ﷺ، ويكذِّبهم كتابهم، فقد جاء فى الأسفار: " ١وَبَعْدَ هَذَا امْتَحَنَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ، فَنَادَاهُ: «يَاإِبْرَاهِيمُ» فَأَجَابَهُ: «لَبَّيْكَ». ٢فَقَالَ لَهُ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحقَ الَّذِى تُحِبُّهُ، وَانْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ المُرِيَّا وَقَدِّمْهُ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِى أَهْدِيكَ إِلَيْهِ». ٣ فَاسْتَيْقَظَ إِبْرَاهِيمُ مُبَكِّراً فِى الصَّبَاحِ التَّالِى، وَأَسْرَجَ حِمَارَهُ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ، وَابْنَهُ إِسْحقَ. وَجَهَّزَ حَطَباً لِمُحْرَقَةٍ، وَانْطَلَقَ مَاضِياً إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِى قَالَ لَهُ اللهُ عَنْهُ. ٤ وَفِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ تَطَلَّعَ إِبْرَاهِيمُ فَشَاهَدَ الْمَكَانَ مِنْ بَعِيدٍ، ٥ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: «امْكُثَا هُنَا مَعَ الْحِمَارِ، رَيْثَمَا أَصْعَدُ أَنَا وَالصَّبِى إِلَى هُنَاكَ لَنَتَعَبَّدَ لله ثُمَّ نَعُودَ إِلَيْكُمَا». ٦ فَحَمَّلَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحقَ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ، وَأَخَذَ هُوَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ وَذَهَبَا كِلاَهُمَا

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٥.

(٢) سورة الحج ٢٢: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) سورة الصافات ٣٧: ١٠١ ـ ١٠٩.

مَعاً. ٧ وَقَالَ إِسْحقُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ: «يَاأَبِي». فَأَجَابَهُ: «نَعَمْ يَابُنَيَّ». فَسَأَلَهُ: «هَا هِى النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ خَرُوفُ الْمُحْرَقَةِ؟». ٨ فَرَدَّ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ: «إِنَّ اللهَ يُدَبِّرُ لِنَفْسِهِ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَاابْنِي». وَتَابَعَا مَسِيرَهُمَا مَعاً.

٩ وَلَمَّا بَلَغَا الْمَوْضِعَ الَّذِى أَشَارَ إِلَيْهِ اللهُ شَيَّدَ إِبْرَاهِيمُ مَذْبَحاً هُنَاكَ، وَنَضَّدَ الْحَطَبَ، ثُمَّ أَوْثَقَ إِسْحقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ١٠ وَمَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَتَنَاوَلَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. ١١ فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «إِبْرَاهِيمُ، إِبْرَاهِيمُ» فَأَجَابَ: «نَعَمْ». ١٢ فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الصَّبِى وَلاَ تُوْقِعْ بِهِ ضُرّاً لأَنِّى عَلِمْتُ أَنَّكَ تَخَافُ اللهَ وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». ١٣وَإِذْ تَطَلَّعَ إِبْرَاهِيمُ حَوْلَهُ رَأَى خَلْفَهُ كَبْشاً قَدْ عَلِقَ بِفُرُوعِ أَشْجَارِ الْغَابَةِ، فَذَهَبَ وَأَحْضَرَهُ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضاً عَنِ ابْنِهِ."[1]، ففى النص "خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحقَ الَّذِى تُحِبُّهُ "والمعروف أنَّ إسماعيل ولد قبل إسحاق؛ فكيف يكون وحيد أبيه ؟

۞ طلب سيدنا إبراهيم عليه السلام من ربَّه أنْ يريه كيف يحيى الموتى، لا شكًّا منه فى قدرة الله ﷻ، بل رغبة منه فى معرفة الكيفية الَّتى يتم بها إحياء الموتى؛ ليحيط بها علمًا[2]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

وفى الأسفار اليهوديَّة عبارة قريبة من هذه، طلب الله فيها من إبراهيم ذبائح: " ٧ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا هُوَ الرَّبُّ الَّذِى أَتَى بِكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لأُعْطِيَكَ هَذِهِ الأَرْضَ مِيرَاثاً». ٨ فَسَأَلَ: «كَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّى أَرِثُهَا؟» ٩ فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «خُذْ لِى عِجْلَةً وَعَنْزَةً وَكَبْشاً، عُمْرُ كُلٍّ مِنْهَا ثَلاَثُ سَنَوَاتٍ، وَيَمَامَةً وَحَمَامَةً». ١٠ فَأَخَذَ هَذِهِ كُلَّهَا وَشَقَّ

---

(١) تكوين ٢٢: ١ ـ ١٣، وراجع تفصيل ذلك فى تاريخ الطبرى ١ / ٢٦٤ ـ ٢٧١.
(٢) قصص الأنبياء والتاريخ ٢ / ٢٦١.
(٣) سورة البقرة ٢: ٢٦٠.

الْبَهَائِمَ مِنَ الْوَسَطِ إِلَى شَطْرَيْنِ، وَجَعَلَ كُلَّ شَطْرٍ مِنْهَا مُقَابِلَ الشَّطْرِ الآخَرِ. أَمَّا الطَّيْرُ فَلَمْ يَشْطُرْهُ. ١١ وَعِنْدَمَا أَخَذَتِ الطُّيُورُ الْجَارِحَةُ تَنْقَضُّ عَلَى الْجُثَثِ زَجَرَهَا أَبْرَامُ."[1]، ولاحظ أنَّ النص هنا غامض لا يبيِّن لنا الحكمة من تلك الذبائح، ولا علام تدل ؟ وما مصير الذبائح بعد ذبحها؟

ومما انفردت به الأسفار اليهوديَّة:

۞ الكذب على خليل الرحمن؛ فقد اتَّهمته الأسفار مرَّتين بالكذب بادِّعاء أنَّ سارة أخته، وليست زوجه؛ لينجو بحياته ـ بزعمهم ـ من بطش الملك، وليحقق لنفسه كسبًا ماديًّا:

المرَة الأولى: فى مصر وقد سبق أنْ بينَّا الثروة الطائلة الَّتى عاد بها من هناك " ١١ وَمَا إِنِ اقْتَرَبَ مِنْ تُخُومِ مِصْرَ حَتَّى قَالَ لِزَوْجَتِهِ سَارَايَ: «أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، ١٢ فَمَا إِنْ يَرَاكِ الْمِصْرِيُّونَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذِهِ هِيَ زَوْجَتُهُ فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَحْيُونَكِ. ١٣ لِذَلِكَ قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، فَيُحْسِنُوا مُعَامَلَتِي مِنْ أَجْلِكِ وَتَنْجُوَ حَيَاتِي بِفَضْلِكِ».[2].

والمرَّة الأخرى: فى النقب، وهذا نص الرواية الكاذبة: " ١وَارْتَحَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ النَّقَبِ، وَأَقَامَ بَيْنَ قَادَشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ فِي جَرَارَ. ٢ وَهُنَاكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ زَوْجَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَحْضَرَ سَارَةَ إِلَيْهِ. ٣ وَلَكِنَّ اللهَ تَجَلَّى لأَبِيمَالِكَ فِي حُلْمٍ فِي اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ سَتَمُوتُ بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ». ٤ وَلَمْ يَكُنْ أَبِيمَالِكُ قَدْ مَسَّهَا بَعْدُ، فَقَالَ لِلرَّبِّ: «أَتُمِيتُ أُمَّةً بَرِيئَةً؟ ٥ أَلَمْ يَقُلْ لِي إِنَّهَا أُخْتِي وَهِيَ نَفْسُهَا ادَّعَتْ أَنَّهُ أَخُوهَا؟ مَا فَعَلْتُ هَذَا إِلاَّ بِسَلاَمَةِ قَلْبِي وَطَهَارَةِ يَدَيَّ». ٦ فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «أَنَا أَيْضاً عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبِكَ قَدْ فَعَلْتَ هَذَا، وَأَنَا أَيْضاً مَنَعْتُكَ مِنْ أَنْ تُخْطِيءَ إِلَيَّ وَلَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا. ٧ وَالآنَ،

---

(١) تكوين ١٥: ٧ ـ ١١.

(٢) تكوين ١٢: ١١ ـ ١٣.

رُدَّ لِلرَّجُلِ زَوْجَتَهُ فَإِنَّهُ نَبِى، فَيُصَلِّى مِنْ أَجْلِكَ فَتَحْيَا. وَإِنْ لَمْ تَرُدَّهَا فَإِنَّك وَكُلَّ مَنْ لَكَ حَتْماً تَمُوتُونَ».

٨ فَبَكَّرَ أَبِيمَالِكُ فِى الصَّبَاحِ وَاسْتَدْعَى جَمِيعَ عَبِيدِهِ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى جَلِيَّةِ الأَمْرِ، فَاعْتَرَ اهُمْ خَوْفٌ عَظِيمٌ. ٩ ثُمَّ دَعَا أَبِيمَالِكُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِنَا؟ أَى خَطَأٍ ارْتَكَبْتُهُ فِى حَقِّكَ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَى وَعَلَى مَمْلَكَتِى هَذَا الذَّنْبَ الْعَظِيمَ؟ لَقَدِ اقْتَرَفْتَ فِى حَقِّى أُمُوراً مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَقْتَرِفَهَا». ١٠ وَسَأَلَ أَبِيمَالِكُ إِبْرَاهِيمَ: «مَاذَا بَدَا لَكَ حَتَّى ارْتَكَبْتَ هَذَا الْفِعْلَ؟» ١١ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «لَقَدْ فَعَلْتُ هَذَا لأَنَّنِى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِى هَذَا الْمَوْضِعِ بِأَسْرِهِ خَوْفُ الله فَخَشِيتُ أَنْ تَقْتُلُونِى مِنْ أَجْلِ زَوْجَتِى. ١٢ وَهِى بِالْحَقِيقَةِ أُخْتِى، ابْنَةُ أَبِى، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ ابْنَةَ أُمِّى فَاتَّخَذْتُهَا زَوْجَةً لِى. ١٣ وَعِنْدَمَا دَعَانِى اللهُ لأَتَغَرَّبَ بَعِيداً عَنْ بَيْتِ أَبِى قُلْتُ لَهَا: حَيْثُمَا نَذْهَبُ قُولِى إِنِّى أَخُوكِ فَهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِى تَصْنَعِينَهُ لِى».

١٤ فَأَخَذَ أَبِيمَالِكُ غَنَماً وَبَقَراً وَعَبِيداً وَإِمَاءً وَقَدَّمَهَا لإِبْرَاهِيمَ، وَأَرْجَعَ إِلَيْهِ سَارَةَ زَوْجَتَهُ. ١٥ وَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «هَا هِى أَرْضِى أَمَامَكَ فَأَقِمْ حَيْثُ طَابَ لَكَ». ١٦ وَقَالَ لِسَارَةَ: «هَا قَدْ وَهَبْتُ أَخَاكِ أَلْفَ قِطْعَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ، تَبْرِئَةً لَكِ مِنْ كُلِّ إِسَاءَةٍ أَمَامَ الَّذِينَ مَعَكِ، فَأَنْتِ بَرِيئَةٌ أَمَامَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَهَكَذَا تَكُونِينَ قَدْ أُنْصِفْتِ». ١٧ فَابْتَهَلَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الله، فَشَفَى أَبِيمَالِكَ وَزَوْجَتَهُ وَجَوَارِيَهُ فَوَلَدْنَ. ١٨ لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَصَابَ نِسَاءَ بَيْتِ أَبِيمَالِكَ بِالْعُقْمِ مِنْ أَجْلِ سَارَةَ زَوْجَةِ إِبْرَاهِيمَ.[1].

ونعت الخليل إبراهيم بالكذب كبيرة من الكبائر؛ فالقرآن الكريم يصفه بالصدق فى القول والعقيدة والعمل، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّه كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾[2].

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود ـ رحمه الله ـ: " صدِّيق كلمة لها جانبان: جانب الصدق، وجانب التصديق، ولقد كان إبراهيم ﷺ صادقا لا يكذب.

---

(١) تكوين ٢٠: ١ ـ ١٨.

(٢) سورة مريم ١٩: ٤١.

أمَّا جانب التصديق: فإنَّه الإيمان اليقينى المباشر السريع بالأخبار الَّتى ترد عن الله ﷻ، أو عن أحد المعصومين، وهو الاعتقاد اليقينى التام فيما لا يقتضى عملا، وتنفيذ ما يترتب على الاعتقاد من عمل فيما إذا اقتضى عملا "[1].

۞ ملكى صادق يبارك الخليل: " ١٨ وَكَذَلِكَ خَمَلَ إِلَيْهِ مَلْكِى صَادِقُ مَلِكُ شَالِيمَ، الَّذِى كَانَ كَاهِناً لله الْعَلِى، خُبْزاً وَخَمْراً، ١٩ وَبَارَكَهُ قَائِلاً: «لِتَكُنْ عَلَيْكَ يَاأَبْرَامُ بَرَكَةُ الله الْعَلِى، مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.

٢٠ وَتَبَارَكَ اللهُ الْعَلِى الَّذِى دَفَعَ أَعْدَاءَكَ إِلَى يَدَيْكَ». فَأَعْطَاهُ أَبْرَامُ عُشْرَ الْغَنَائِمِ كُلِّهَا. "[2].

۞ الختان الَّذى تعتبره العقيدة اليهودية رمزًا للعهد بين الله والخليل، بالرغم من أنَّ الختان عادة مصرية قديمة، من قبل ظهور الخليل بمئات السنين، وقد أخذها اليهود عنهم " ١١ تَخْتِنُونَ رَأْسَ قُلْفَةِ غُرْلَتِكُمْ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ الْعَهْدِ الَّذِى بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ "[3].

۞ تفصِّل الأسفار اليهودية فى الحديث عن الأماكن الَّتى تنقَّل فيها سيِّدنا إبراهيم، والملوك الَّذين التقاهم، والحروب الَّتى خاضها... وهى من الأمور الَّتى اكتفى القرآن الكريم بالإشارة إليها.

وفيما عدا ما ذكرت من أوجه الخلاف، فإنَّ هناك أمورًا مشتركة كثيرة بين سيرة الخليل عليه السلام فى القرآن الكريم، وفى الأسفار اليهودية، من مثل:

۞ اتِّصاف الخليل بإكرام الضيف.

۞ صلة القربى بين إبراهيم ولوط.

۞ بشارة إبراهيم وزوجة بمولود.

۞ إبعاد السيِّدة هاجر وابنها إسماعيل عن الشام.....

---

(١) فى رحاب الأنبياء والرسل ٧٠.

(٢) تكوين ١٤: ١٨ ـ ٢٠.

(٣) تكوين ١٦: ١١.

سيدنا إسماعيل

سيدنا إسماعيل Ismaël عليه السلام: ورد اسم سيِّدنا إسماعيل فى القرآن الكريم ١٢ مرَّة، وروى القرآن الكريم جوانب من سيرته فى سورة البقرة، وهو الذبيح الَّذى افتداه ربُّه بذبح عظيم.

وكان سيدنا إسماعيل أوّل من استأنس الخيل، وربَّاها، وعلَّمها، وركبها، وتوارثها عنه العرب[1].

أمُّه السيِّدة هاجر المصريَّة الَّتى أهداها فرعون إلى الخليل إبراهيم، ويدَّعى اليهود أنَّها خادمة، وأصهر إلى قبيلة جرهم فى مكَّة الَّتى آوته وأمَّه فى وادٍ قفر غير ذى زرع، وقبيلة جرهم هجرة مصرية إلى الجزيرة العربية، ونجد خلافًا جوهريًّا بين رواية القرآن الكريم ورواية الأسفار فى سبب إبعاد هاجر وابنها عن الشام، وهذه هى رواية اليهود " ٩ وَرَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِى أَنْجَبَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَسْخَرُ مِنِ ابْنِهَا إِسْحقَ، ١٠ فَقَالَتْ لإِبْرَ اهِيمَ: «اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، فَإِنَّ ابْنَ الْجَارِيَةِ لَنْ يَرِثَ مَعَ ابْنِى إِسْحقَ». ١١ فَقَبُحَ هَذَا الْقَوْلُ فِى نَفْسِ إِبْرَ اهِيمَ مِنْ أَجْلِ ابْنِهِ. ١٢ فَقَال اللهُ لَهُ:« لاَ يَسُوءُ فِى نَفْسِكَ أَمْرُ الصَّبِى أَوْ أَمْرُ جَارِيَتِكَ، وَاسْمَعْ لِكَلاَمِ سَارَةَ فِى كُلِّ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لأَنَّهُ بِإِسْحقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. ١٣ وَسَأُقِيمُ مِنِ ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ».١٤ فَنَهَضَ إِبْرَاهِيمُ فِى الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَأَخَذَ خُبْزاً وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَدَفَعَهُمَا إِلَى هَاجَرَ، وَوَضَعَهُمَا عَلَى كَتِفَيْهَا، ثُمَّ صَرَفَهَا مَعَ الصَّبِى. فَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فِى بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. ١٥ وَعِنْدَمَا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الصَّبِى تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، ١٦ وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ، عَلَى بُعْدِ نَحْوِ مِئَةِ مِتْرٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «لاَ أَشْهَدُ مَوْتَ الصَّبِيِّ». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ.

١٧ وَسَمِعَ اللهُ بُكَاءَ الصَّبِى، فَنَادَى مَلاَكُ الله هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا الَّذِى يُزْعِجُكِ يَاهَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِى، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِى مِنْ حَيْثُ هُوَ مُلْقًى. ١٨ قُومِى وَاحْمِلِى الصَّبِى، وَتَشَبَّثِى بِهِ لأَنَّنِى سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». ١٩ ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهَا

(١) الأوائل ٢٨٧، فى رحاب الأنبياء والرسل ١١٢.

فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ وَسَقَتِ الصَّبِى. ٢٠ وَكَانَ اللهُ مَعَ الصَّبِى فَكَبُرَ، وَسَكَنَ فِى صَحْرَاءِ فَارَانَ وَبَرَعَ فِى رَمْى الْقَوْسِ. ٢١ وَاتَّخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ مِصْرَ "[1].

ورواية القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[2].

رواية القرآن الكريم تبيِّن أنَّ رسالة سيِّدنا إسماعيل عليه السلام الَّتى كُلِّف بتبليغها ليست فى الشام، وإنَّما فى واد غير ذى زرع، فى وهاد جبال فاران حول مكَّة المكرَّمة حيث ترك خليل الرحمن ابنه الرضيع وزوجه وليس معهما إلاَّ القليل من الماء والزَّاد، ودعا ربَّه أنْ يرزقهما من الثمرات، وأنْ يعمر الوادى بهما؛ فيأنسا بالناس، وببيت الله الحرام الَّذى أصبح مثابة للناس وأمنا، يعبد فيه الله وحده، لا شريك له.

وبينما تتجاهل الأسفار اليهوديَّة نبوَّة سيِّدنا إسماعيل عليه السلام ـ كما تتجاهل فى الوقت نفسه نبوَّة كثير من أنبياء الله ـ يؤكِّد القرآن الكريم أنَّ سيِّدنا إسماعيل كان نبيًّا يوحى إليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ

---

(١) تكوين ٢١: ٩ ـ ٢١.

(٢) سورة إبراهيم ١٤: ٣٥ ـ ٤١.

وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1]، وكان رسولا نبيًّا يتحلَّى بالصفات الكريمة، والأخلاق النبويَّة السامية، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[2].

وكان سيِّدنا إسماعيل رسول الله إلى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن[3]، ولا ننسى أنَّ قبيلة جرهم ترجع فى أصولها إلى مصر؛ فالتاريخ الموثَّق يحدِّثنا أنَّ المصريين القدماء ذهبوا إلى الجزيرة العربية، لأوَّل مرَّة فى عام ٢٢٨٠ ق.م. عقب سقوط الأسرة السادسة عندما هرب أهل منف إلى الجزيرة العربية عقب ثورة الرعاع وعصر الاضمحلال، ويصف لنا المؤرخ المصرى القديم إيبيور هروب أهل منف إلى الصحراء الشرقية وجنوب الوادى وعبروا البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية حيث أُطْلق عليهم "بنو مناف "، ويبدو أنَّهم شاركوا أهل البلاد فى وثنيتهم، وصنعوا لهم صنما سمُّوه باسمهم، وعبدوه وعرفوا فيما بعد باسم "عبد مناف" ومنهم السيِّدة آمنة بنت وهب أمِّ سيِّدنا رسول الله ﷺ، كما أطلق عرب الجزيرة على مهاجرى مصر اسم "جُرْهُم" ومعناها مهاجرو مصر[4].

دور القبائل المصرية المهاجرة فى الجزيرة العربية واستمرار صلتهم بمصر:

أراد الله ﷻ أنْ يهيئ الأسباب وأنْ يمكِّن لدين التوحيد بالرسالة الخاتمة، وأنْ يعمر الوادى المبارك ببناء بيت الله الحرام، ومن تلك الأسباب[5]:

١ ـ السيِّدة هاجر المصرية لم تكن تعرف لغة أهل البلاد وعاداتهم، وهى البلاد

---

(١) سورة النساء ٤: ١٦٣.

(٢) سورة مريم ١٩: ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ١٩٠.

(٤) مقال " الوصايا العشر ".

(٥) المصدر السابق.

الَّتى أوحى الله إلى نبيه إبراهيم الخليل ﷺ أنْ يحملها إليها هى وصغيرها سيِّدنا إسماعيل ﷺ فشاءت إرادته ﷻ أنْ تسبق هذه الهجرة النبوية هجرة مصرية تكون فى استقبال العائلة المباركة، فلجأت إليهم السيِّدة هاجَر، وعاشت فى كنفهم، ووفروا لها الأمن والراحة والاستقرار.

٢ ـ أصهر إسماعيل ﷺ إلى جرهم، وانحدرت ذريَّته من هذا الصهر، ويروى ابن كثير أنَّه رزق من زوجه الجرهمية اثنى عشر ذكرا[١].

٣ ـ ساعدت جرهم إبراهيم الخليل وابنه فى بناء الكعبة المشرَّفة، وإلى هذه المساعدة يقول الشاعر زهير بن أبى سُلْمى فى معلَّقته الشهيرة:

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِى طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

٤ ـ حجَّ المصريُّون القدماء إلى البيت العتيق فى مكَّة المكرَّمة من اليوم الأول الَّذى بنى فيه، وظَلَّ المصريُّون يحجُّون إليه كلَّما قوى دين التوحيد فى مصر؛ وقد أشار الدكتور سليم حسن فى كتابه "ديانة التوحيد وعصر إخناتون" إلى رحلة الحج هذه بعد إخناتون وبخاصَّة فى مواسم الحج فى أعياد منف وإخناتون، ومن الزيارات المشهورة المسجلة فى التاريخ زيارة سيِّدنا موسى ﷺ بمرافقة نبى الله شعيب ﷺ، وسنشير إليها فى حديثنا عن سيِّدنا موسى ﷺ.

٥ ـ قام بالحج إلى الكعبة المشرَّفة قائد حملة رمسيس الثانى، وهو من الموحدين وكلَّفته السيِّدة زوج فرعون المؤمنة بحمل كسوة للكعبة صنعتها فى مصر، وقام القائد برفعها على حوائطها[٢].

وزوج فرعون هى الَّتى تربَّى سيِّدنا موسى ﷺ فى كنفها ورعايتها، وضرب الله بها مثلا للمرأة المؤمنة المحافظة على دينها وتوحيدها بالرغم من جبروت زوجها وكفره، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ١٩٠.
(٢) مقال " الوصايا العشر ".

رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

٦ ـ ذكر المسعودى أنَّ صابئة المصريين الَّذين بقيتهم فى زمنه "هم الحرَّانِيُّون" توجُّههم فى صلاتهم إلى التيمن، وهو القبلة، واستدبارهم الشمال، وذكر من عاداتهم:

۞ ـ امتناعهم من كثير من المآكل التى يأكلها صابئة اليونان كلحم الخنْزير..

۞ ـ قولهم بنبوة أغاثديمون، وهرمس، وأبدوس.

۞ ـ تمثيلهم مراتب الكهنوت فى هياكلهم بما علا من الروحانية.

۞ ـ ما يذهبون إليه من قول أفلاطون: " إنَّ من عرف نفسه حقيقة المعرفة تألَّه " وقول صاحب المنطق: " من عرف نفسه فقد عرف بها كلَّ شىْء "[2].

٧ ـ أنشأت مصر الإسلامية "دار الكسوة الشريفة" وكانت تصنع بها كسوة الكعبة كل عام، وتخرج قافلة من مصر "فى يوم المحمل" تحمل هذه الكسوة المباركة قبيل موسم الحج، ويصدر بها مرسوم سلطانى، وكان يوم المحمل من الأعياد الدينية عند المصريين، وظلَّت مصر تصنع هذه الكسوة مئات من السنين وإلى عهد قريب.

سيدنا يعقوب

سيدنا يعقوب Jacob عليه السلام: ورد اسمه فى القرآن الكريم ١٦ مرَّة، وفى جميع هذه المرَّات تأكيد على ما يأتى:

۞ أنَّ سيِّدنا يعقوب عليه السلام نبى يوحى إليه كما يوحى إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[3].

---

(١) سورة التحريم ٦٦: ١١.

(٢) التنبيه والإشراف ١٣٨.

(٣) سورة النساء ٤: ١٦٣.

❁ وأنَّ سيِّدنا يعقوب عليه السلام نبى من أنبياء الله أولى العزم والقوَّة، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[1].

❁ وأنَّ سيِّدنا يعقوب عليه السلام تولَّى أمانة تبليغ الإسلام بعد أبيه وجدِّه، وتوصيلها إلى الأبناء والأحفاد، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

وهو حفيد سيِّدنا إبراهيم عليه السلام من ابنه إسحاق، وقد أطلق عليه مؤلفو الأسفار اليهوديَّة لقب "إسرائيل"؛ لأنَّه غلب الله وقهره وصرعه فى قصة طريفة، أو بالأحرى فى أسطورة سخيفة يرويها مؤلف سفر التكوين تحت عنوان "مصارعة الله"[3].

وارتبطت سيرة سيِّدنا يعقوب عليه السلام بالأساطير الشعبيَّة الإسلاميَّة الَّتى أمدَّتها الخرافات اليهوديَّة بمادَّة غزيرة من الأكاذيب والأباطيل والخروج عن جادَّة العقل وسواء السبيل، فمن ذلك ما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية: " كان يعقوب فى الحقيقة أكبر من أخيه التوْأم عيص "عيسو"، ولمَّا جاء أوان الوضع اقتتل الغلامان فى بطن أمهما إذْ أراد يعقوب أنْ يخرج قبل عيص. فقال عيص: والله، لئن خرجت قبلى لأعترضنَّ فأتأخَّر فى بطن أمِّى، فاقتلها، فتأخَّر يعقوب، وخرج عيص قبله، ونجد هذه القصَّة أيضًا فى كتب اليهود "[4].

---

(١) سورة ص ٣٨: ٤٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٣٠ ـ ١٣٣.

(٣) تكوين ٣٢: ٢٣ ـ ٣٠، وقد روينا نص العبارة، وعلقنا عليها، راجع ٢٩٤ ـ ٢٩٩.
كما روينا قصة ولادته مع توءمه عيسو، راجع صفحة ٣١٢.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ٧٢٢.

والعجيب فى أمر اليهود ـ وما أكثر أعاجيبهم ـ أنَّهم يرسمون لسيِّدنا يعقوب عليه السلام صورة بالغة السوء بالرغم من ادِّعائهم الانتساب إليه ويسمّونه إسرائيل، ويعتبرون أنفسهم من نسله كذبا وبهتانًا؛ فلو كانوا من ذريَّته فكيف جعلوه مزوِّرًا كذَّابا محتالاً، وزعموا أنَّه سرق بركة البكوريَّة من أخيه فى مؤامرة دنيئة، رسمت أمُّه خطوطها، وساعدته على تنفيذها، كما احتال على خاله لابان وسرق ماله[1].

وتتفق رواية الأسفار اليهوديَّة مع ما جاء فى القرآن الكريم، من أنَّ سيدنا يعقوب عليه السلام رحل إلى مصر فى الوقت الَّذى كان فيه ابنه يوسف نائبًا لفرعون مصر الذى أحسن استقباله، و" قَالَ لِيُوسُفَ: أبوكَ وَإِخْوَتُكَ قَدْ قَدِمُوا إِلَيْكَ، فَهَذِهِ أَرْضُ مِصْرَ أَمَامَكَ، فَأَقِمْ أَبَاكَ وإِخْوَتَكَ فِى أَجْوَدِ أَرَاضِيهَا "[2]، لم تطل إقامة يعقوب فى مصر، ولَمَّا حضرته الوفاة نصح بنيه ثمَّ أوصى أنْ ينقل جثمانه إلى فلسطين، ويدفن إلى جانب جده إبراهيم، وطلب يوسف من أطبَّاء مصر تحنيط جثمانه، ووضع على مركبة، وفى موكب جنائزى كبير حمل الجثمان، ودفن حيث أوصى[3].

هذه رواية الأسفار اليهوديَّة، وفيها نظر من وجهين:

الوجه الأول: الراجح أنَّه دفن فى مصر؛ لأنَّه قد ورد فى صحيح البخارى، وغيره من كتب الحديث مرفوعا إلى النبى ﷺ: (**اَلْأَنْبِيَاءُ يُدْفَنُونَ حَيْثُ يَمُوتُونَ**)[4] وفى الوقت نفسه لم تشر المصادر التاريخيَّة ـ فيما أعلم ـ إلى أنَّ كهنة مصر كانوا يحنِّطون أجسام الضيوف النازلين بأرضهم.

والوجه الآخر: كثيرا ما يلجأ اليهود إلى ذكر مغارة إبراهيم الخليل عليه السلام المعروفة

---

(١) راجع تكوين ٢٧: ٥ ـ ٤٠، و ٣٠: ٢٨ ـ ٤٣ و ٣١: ١ ـ ١٦.

(٢) تكوين ٤٧: ٦.

(٣) تكوين ٥٠: ١ ـ ٤.

(٤) فى فتح البارى بشرح البخارى، باب " أمور الإيمان، يقول ابن حجر: " هذ الحديث رواه ابن ماجة فى حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن أبى بكر رضي الله عنه مرفوعا (مَا قُبِضَ نَبِىٌّ إلاَّ دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ)، وفى إسناده حسين بن عبد الله الهاشمى، وهو ضعيف، وله طريق أخرى مرسلة. انظر: ابن حجر: فتح البارى " باب أمور الإيمان " جـ ١ / ص ٥٢٩.

باسم " مغارة المكفيلة " فى حقل عَفْرُون بن صُوحر الحِثِّى الذى تجاه " ممرا "، فى الحقل الذى اشتراه إبراهيم من بنى حَثّ، حيث دفن هو وامرأته سارة، وكل نبى لهم مات يزعمون أنَّه نقل إلى تلك المغارة؛ ليدفن فيها، فى إشارة منهم إلى النسب الموصول بينهم وبين إبراهيم الخليل عليه السلام [1].

الأسباط

الأسباط Les Tribus: المستقر فى ذهْن النَّاس أنَّهم أحفاد سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وأنَّهم أبناء سيِّدنا يعقوب عليه السلام، وأنَّ عددهم اثنا عشر رجلا ذَكَرَتْ الأسفار اليهوديَّة أسماءهم وترسم هذه الأسماء بصور متعدِّدة، وهم: رؤبين "رأوبين، رؤبان" ـ وشمعون ـ ولاوى ـ ويهودا ـ ويَسَّاكَر "يساخار" ـ وزبلن "زبولون، زابلون" ـ ويوسف، وبَنْيَامين ـ ودان ـ ونفتالى "نفثالى" ـ وجاد "غاد" ـ وأشير "أشار"، ونحن لا نسلِّم لهم بصحَّة هذه الأسماء، على كل حال، لا هى ولا غيرها.

ومن هؤلاء الأحفاد بعث الله اثنى عشر نقيبا، جاء ذكرهم فى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[2].

وقد عمد اليهود ومروِّجو الإسرائيليَّات فى الفكر الدينى إلى الربط بين هؤلاء النقباء، والأسباط الوارد ذكرهم فى قصة سيِّدنا موسى عليه السلام واعتبارهما مترادفين؛ فقد جاء فى القرآن الكريم، قول الله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[3].

---

(١) فى مخطوطة بعنوان " سؤال ابن أبى شرف فى دير صهيون والإفرنج " أنَّ سليمان دفن أباه داود فى تلك المغارة، وهو أمر لا يعرف، والمخطوطة محققة فى كتاب " الاستيطان الفرنجى " ٥٠٣.

(٢) سورة المائدة ٥: ١٢.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٥٩ ـ ١٦٠.

وزعموا أنَّ هؤلاء الأسباط هم أحفاد سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، ولم يسأل أحدهم نفسه: كيف يوجد هؤلاء الأحفاد أو ذُرِّيَّاتهم فى زمن موسى عليه السلام وبينه وبين إبراهيم الخليل سبعة قرون، وقد اختلطت أنسابهم بالشعوب الَّتى عاشوا بينها ؟[1] فلا علاقة مطلقًا لموسى عليه السلام بالأسباط، ولا توجد صلة عرقية تربطه بهم.

والآية القرآنية تقطع هذا الزعم الباطل؛ فقوله تعالى: ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴾ أى: فرقة؛ فلفظ "الأسباط" هنا نعت لكلمة فرقة، بدليل تأنيث العدد، والمعنى بحسب قول الزَّجَّاج: وقطعناهم اثنتى عشرة فرقة أسباطا، فأسباط من نعت فرقة، كأنَّه قال: وجعلناهم أسباطا، فيكون أسباطا بدلا من اثنتى عشرة، فالقسمة هنا إلى فرق أو جماعات لتنظيم حركة السير، وقسمة الماء، ولا علاقة للأسباط هنا ببنى إسرائيل كما يزعمون، فكلمة "سبط" تحمل معانى متعددة، وليست قاصرة على معنى الحفيد أو ابن الابن، وقال بعضهم: السبط القرْن الذى يجىء بعد قرن، بل ذهب النسَّابون إلى أنَّ الأسباط فى ولد إسحاق بن إبراهيم بمنْزلة القبائل فى ولد إسماعيل ـ عليهم السلام ـ[2].

والَّذى يرجِّح ذلك أنَّ لفظ "الأسباط" إذا قصد به الأنبياء جاء فى القرآن الكريم معرَّفا بأداة التعريف، وفى وسط سلسلة من أسماء الأنبياء، وبعد سيِّدنا يعقوب[3].

على أنَّنا نعلم أنَّ أبناء سيِّدنا يعقوب لم يتورَّعوا عن الكذب، وخيانة الأمانة، والشروع فى القتل، بنص آيات القرآن الكريم فى قصَّة سيِّدنا يوسف عليه السلام[4]، بل إنَّ سيِّدنا يعقوب عليه السلام فى وصيَّته بنيه ـ بحسب رواية الأسفار اليهوديَّة ـ يصف أبناءه بالصفات الآتية:

قال عن رؤبين: أنت بكرى... لن تفضل؛ لأنَّك علوت مضجع أبيك حينئذ دنَّست فراشى علىَّ.

---

(١) خرافات عن الأجناس ٤٨.

(٢) لسان العرب " سبط " ٧/ ٣١٠.

(٣) ورد لفظ "الأسباط" بمعنى الأنبياء فى القرآن الكريم فى أربع آيات، مرتين فى سورة البقرة (الآيتان ١٣٦، ١٤٠) ومرة واحدة فى كل من سورتى آل عمران (٨٤)، والنساء (١٦٣).

(٤) سورة يوسف ١٢: ٨ ـ ١٨.

وهو هنا يشير إلى أنَّ رؤبين ضاجع بِلْهَة سُرِّيَّة أبيه[1].

وقال عن شِمْعُون ولاوى: فى سخطهما قتلا أناسًا، وفى هواهما عقرا ثيرانًا.

وهو هنا يشير إلى غدرهما وقتلهما شَكِيمُ بنُ حَمُورَ الْحِوِّى ـ زوج أختهما دينة ـ كما قتلا أباه، وكلَّ ذكور مدينته، وسلبا جيع ما فى المدينة من أموال ودوابّ، وسبيا النساء والأطفال[2].

وقال عن زبولون: حمار أحنى كتفه للحمل، وصار للسخرة عبدًا.

وقال عن دان: ثعبان على الطريق.

وقال عن بنيامين: ذئب مفترس.

ولم يمدح فى وصيته تلك إلاَّ اثنين فقط، هما:

الأول: يهوذا ـ كما هو منتظر، لمجرد الاسم الَّذى أصبح علمًا فيما بعد على مملكة وشعب ـ قائلا له: يسجد لك بنو أبيك.

والثانى: يوسف، فهو غرسة طيِّبة..[3].

سيدنا يوسف

سيدنا يوسف Joseph عليه السلام: قال رسول الله ﷺ إنَّه:"الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"[4]، وقد روى القرآن الكريم قصَّته فى سورة كاملة، تحمل اسمه، منذ مولده، ورؤيته الرؤيا الَّتى فهم دلالتها أبوه، وطلب إليه كتمانها عن إخوته، وغيرة الإخوة من حب أبيهم يوسف، والمؤامرة على قتله، واتفاقهم على إلقائه فى الجب، وعثرت عليه قافلة مسافرة إلى مصر، فباعته للعزيز، وهناك تقلَّبت به الأحوال إلى أنْ أصبح نائبا لفرعون.

ويقص القرآن الكريم قصَّة المجاعة الكبرى الَّتى اجتاحت الشام وفلسطين

---

(١) تكوين ٣٥: ٢٢.

(٢) تكوين ٣٤: ١ ـ ٢٩.

(٣) تكوين ٤٩: ١ ـ ٢٨.

(٤) سنن الترمذى ٣ / ٣٥٦.

ومصر، ولجوء إخوة يوسف إليه، وأخيرا حضورهم إلى مصر وإقامتهم فيها، وتؤكد الدراسات الحديثة إلى أنَّهم ذابوا تماما فى المجتمع المصرى من طريق التزاوج والاختلاط، والبقيَّة الباقية منهم والَّتى كان يطلق عليها "بنى إسرائيل" فى عهد موسى عليه السلام هم فى الحقيقة بقايا الغزوة العربية لأرض مصر والمعروفة تاريخيا باسم غزوة الهكسوس، وكانوا يعرفون بالعبريو، أو العبيرو، بمعنى: البدو الرحل الآسيويون الذين اضطروا إلى الخروج من مصر بعد موت إخناتون، هربا بدينهم التوحيدى من أذى الوثنيين[1].

ويعلل الثَّعْلَبى مجىء الآية الكريمة فى أول سورة يوسف: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾[2] لكونها أحسن القصص لأنَّ بها عبرا كثيرة، وما يتجلَّى فيها من كرم يوسف عليه السلام، وسماحته، وما حقَّقه من ثراء بفضل ربِّه، ولأنَّ الأنبياء والملائكة والشياطين والجن والإنس والحيوانات والطيور والحكَّام والرعيَّة، كل أولئك قد لعب دورًا فى هذه القصة[3].

ولعلَّ قصة سيِدنا يوسف عليه السلام هى القصَّة الوحيدة من بين ما جاء فى الأسفار اليهوديَّة الَّتى تكاد تتفق أكثر وقائعها مع ما جاء فى القرآن الكريم، ومع ذلك فقد ورد فى كل منهما وقائع انفرد بها دون الآخر؛ ويزعم بعض المستشرقين أنَّ الإضافات فى قصة يوسف القرآنية راجعة إلى الجزء الأسطورى من التلمود اليهودى المسمَّى "الهجَّادة"، وفى الوقت نفسه فإنَّ قصَّة "التوراة" المتأخرة قد تأثرت بالقصة القرآنيَّة والحكايات الإسلاميَّة، ولعلَّ أبرز الأحداث الَّتى ترويها الأسفار اليهوديَّة أو التراث القصصى المكتوب ولم يذكرها القرآن الكريم، هى:

❁ طلب سيِّدنا يعقوب عليه السلام من ابنه يوسف ألاَّ يقص رؤياه على إخوته حتَّى لا تسبب عداء بينه وبين إخوته، ولكن الأسفار اليهودية تزعم أنّ يوسف كان يقص

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٦٠٤.
(٢) سورة يوسف ١٢: ٣.
(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٢/ ١٠٢٢٧.

كلَّ ما يراه على إخوته، ومن ذلك حلمه: " ٥ وَحَلُمَ يُوسُفُ حُلْماً قَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَازْدَادُوا لَهُ بُغْضاً. ٦ قَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هَذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلُمْتُهُ. ٧ رَأَيْتُ وَكَأَنَّنَا نَحْزِمُ حُزَماً فِي الْحَقْلِ، فَإِذَا بِحُزْمَتِي وَقَفَتْ ثُمَّ انْتَصَبَتْ، فَأَحَاطَتْ بِهَا حُزَمُكُمْ وَانْحَنَتْ لَهَا».٨ فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا أَوْ تَحْكُمُنَا؟» وَزَادَ بُغْضُهُمْ لَهُ بِسَبَبِ أَحْلاَمِهِ وَكَلاَمِهِ."[1].

❁ ولم يرد فى سورة يوسف أيضًا أنَّ شجرة نمت عند منْزل يعقوب، وبزغ منها غصن بزَّ الغصون الأخرى نضارة وثمرًا عند مولد يوسف[2].

❁ كما لم يرد فى سورة يوسف أيضًا أنَّ جبريل ﷺ أحضر إلى سيِّدنا يعقوب ﷺ فرعًا من الجنَّة فاق الغصون الأخرى[3].

❁ ولعلَّ أبرز أوجه الخلاف بين رواية القرآن الكريم قصَّة سيِّدنا يوسيف وما ترويه الأسفار اليهوديَّة وأساطيرهم أمران:

الأمر الأوَّل: أنَّ الأسفار اليهوديَّة تحرص على حشد الكثير من التفاصيل الَّتى تخدم أهدافها، ولا تقدَّم فائدة تذكر لمضمون القصَّة الدينيَّة الَّتى يراد منها العبرة والعظة، لا الإحصاء ولا التأريخ؛ فالأسفار تذكر أسماء إخوة يوسف، وعددهم، وأسماء من لقيهم يوسف فى مصر: عزيز مصر، امرأة فرعون، شاهد من أهلها... وهو ما دعا المستشرق برنارد هولر Bernard Heller كاتب مادة "يوسف" فى دائرة المعارف الإسلاميَّة إلى اعتبار ذلك دليلا على التردد وعدم الدقَّة[4]؛ لأنَّ القرآن الكريم ـ فى زعمهم ـ من تأليف رسول الله ﷺ، وأنَّه استفاد من كتب اليهود والنصارى فى تأليف قرآنه... إلى آخر أكاذيبهم المغرضة عن الإسلام وعن رسوله ﷺ ، وقد سبق أنْ بيَّنَّا أنَّ جميع الأسماء الواردة فى الأسفار اليهوديَّة أسماء عروبيَّة: كنعانيَّة وآراميَّة انحدرت إلى العبريَّة باعتبارها لهجة من اللهجات الآراميَّة،

(١) تكوين ٣٧: ٥ ـ ٨.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٢ / ١٠٢٢٨.
(٣) نفسه.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٣٢ / ١٠٢٢٩.

والإلحاح على ترديدها فى الأسفار من أجل خدمة أغراض سياسيَّة؛ ليثبتوا لأنفسهم أصلاً لا وجود له، وتاريخًا لم يكن لهم فى يوم من الأيام، وليوهموا الناس بصدقهم وهم كاذبون، ويصدق فيهم المثل: "يكاد المريب أنْ يقول: خذونى".

ويندد المستشرق المذكور بإغفال القرآن الكريم قيمة المبلغ الَّذى بيع به يوسف، والاكتفاء بالإشارة إليه ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ولم يذكر لنا العالم الجليل المصدر التاريخى لمعرفة هذه القيمة ما هو ؟

والأمر الآخر: انبرى العلماء المسلمون والمفسرون لرواية أخبار وأساطير عن سيِّدنا يوسف: فذكروا سنَّه، مكان البئر، واسم التاجر الَّذى باعه والمصرى الَّذى اشتراه، والمرأة الَّتى كان فى بيتها، والفرعون الَّذى رعاه وساقى الملك، وخبَّازه، والشاهد الَّذى شهد له، والنجوم الَّتى سجدت له...[1]، والاختلاف فى تلك الأسماء دليل قاطع على اختراعها، وكذبها، ولا سند لها من نص صحيح فى القرآن الكريم أو السنَّة.

وكعادة مؤلف سفر التكوين فى حرصه على تجميع جثث الأنبياء من سلالة إبراهيم الخليل عليه السلام فى مغارة المكفيلة، يقول عندما حضرت يوسف الوفاة: "اسْتَحْلَفَ يُوسُفَ بَنِى إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ، فَأَصْعِدُوا عِظَامِى مِنْ هَاهُنَا، وَمَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنٌ مَائَةٍ وَعَشْرِ سِنِين، فَحَنَّطُوهُ، وَجُعِلَ فِى تَابُوتٍ بِمِصْرَ"[2].

وقد سبق أنْ بينَّا أنَّ هذا ادِّعاء باطل؛ فالأنبياء يُدْفَنُون حيث يموتون، وارتباط يوسف الصديق عليه السلام بمصر ارتباط وثيق جدًّا: فيها تربَّى، وفيها عمل، وتزوَّج، وأنجب، وفيها جمَّع أسرته، وفيها وجد الأمن والأمان، وارتقى أعلى المناصب؛ فليس هناك معنى لأنْ يطلب دفنه بعيدًا عن وطنه وعن أهله.

---

(١) راجع: دائرة المعارف الإسلامية ٣٢/ ١٠٢٢٩ ـ ١٠٢٣٠.

(٢) تكوين ٥٠: ٢٥ ـ ٢٦.